الكُسوف تفكُّرات وتفقُّهات

مستفاد من كلام الإمامين

ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

التفكُّرات:

١. حسابُ الْكُسُوف من الْعلم الّذي لا يضر الْجَهْل بِهِ.. وهو علْمٌ قَليلَ الْمَنْفَعَة[١].

٢. نور الْقَمَرِ مُسْتَفَادٌ من نور الشّمْس..فَإِذا وَقع الْقَمَر فِي ظلّ الأَرْض انْقَطع عَنهُ نور الشّمْس[٢].

---

(١)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٧٥) ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢١٣)

(٢)مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢١٢)

٣. أطول مَا يَمْتَد زمَان الْكُسُوف الْقمرِي أَربع سَاعَات وَأما الكسوف الشمسي فَلَا يزِيد على ساعتين[١].

٤. بدء الخسوف فِي الْقَمَر من طرفه الشّرْقِي..وَأما فِي الشّمْس فبدء الْكُسُوف من طرفها الغربي[٢].

٥. كسوف الشمس إنما يكون وقت استسرار القمر آخر الشهر، وخسوف القمر إنما يكون ليالي الإبدار؛ الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر[٣].

٦. إِن قيل: جرم الْقَمَر أَصْغَر من جرم الشّمْس بِكَثِير، فَكيف يحجب عَنّا كل

---

(١)السابق (٢/ ٢٠٩)

(٢)السابق (٢/ ٢٠٩)

(٣)الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص: ٢٧٢) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/ ٢٥٥) وتحفة المودود لابن القيم (ص: ١٠٩)

الشّمْس؟! قيل: إِنّمَا يحجب عَنّا جرم الشّمْس لقُرْبه منا وَبعدهَا عَنّا[1].

٧. مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ ..وَفِي الصّحِيحِ أَنّهُ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْكُسُوفِ: «يَا أُمّةَ مُحَمّدٍ مَا أَغْيَرُ مِنَ اللّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ»[2]. فجمع ﷺ بين ظلمة القلب بالزنا وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس وذكر أحدهما مع الآخر[3]. وَظُهُورُ الزّنَا مِنْ أَمَارَاتِ خَرَابِ الْعَالَمِ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ، وَقَدْ جَرَتْ سُنّةُ اللّهِ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ أَنّهُ عِنْدَ ظُهُورِ الزّنَا يَغْضَبُ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَيَشْتَدّ غَضَبُهُ، فَلَا

---

(١)مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٠٧)

(٢)الجواب الكافي لابن القيم (ص: ٦٦)

(٣)روضة المحبين لابن القيم (ص: ٢٩٥)

بُدّ أَنْ يُؤَثّرَ غَضَبُهُ فِي الْأَرْضِ عُقُوبَةً[1].

٨. قلّمَا يسلم منه أَطْرَاف الأَرْض، حَيْثُ فِيهَا من شَرّ عَظِيم؛ يحصل بِسَبَبه الْكُسُوف، وتَسلم مِنْهُ الْأَمَاكِن الّتِى يظْهر فِيهَا نور النُّبُوّة أَو يقلّ فِيهَا جدًا.

٩. قَدْ قِيلَ: الشّمْسُ كَسَفَتْ بَعْدَ حَجّةِ الْوَدَاعِ قَبْلَ مَوْتِه ﷺ بِقَلِيلٍ[2].

١٠. إِنْ قِيلَ: مَا فَائِدَةُ الْأَمْرِ بالدّعَاءِ فِيمَا عُلِمَ أَنّهُ يَكُونُ؟ قِيلَ لامْتِثَالِ الْمَأْمُورِ بِهِ.. والدّعَاءُ سَبَبٌ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ فَإِذَا كَانَ أَقْوَى مِنْهُ دَفَعَهُ وَإِنْ كَانَ سَبَبُ الْبَلَاءِ أَقْوَى لَمْ يَدْفَعْهُ لَكِنْ يُخَفّفُهُ وَيُضْعِفُهُ[3].

---

(١)الجواب الكافي لابن القيم (ص: ١٦٣)

(٢)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/ ٦٢٠)

(٣)فتاوى ابن تيمية (٨/ ١٩٦)

١١. كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَدْعُونَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ، أَفَتَرَاهُمْ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ لَا يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ؟![1]

١٢. يستفاد من قول النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّهُمَا آيَتَانِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ﴾ فَعُلِمَ أَنَّ الْكُسُوفَ مَظِنَّةُ حُدُوثِ عَذَابٍ بِأَهْلِ الْأَرْضِ.. وَيَجْعَلَ الْكُسُوفَ سَبَبًا لِذَلِكَ[2].

١٣. الكسوف: هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة، أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية؟[3]

١٤. الْكُسُوفُ لَهُ وَقْتٌ محدد يكون عِنْدَ أَجَلِهِ يَجعله الله تعالى سَبَبا لما يَقْضِيه من عَذَاب

---

(١)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ٩٨)

(٢)الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٣٤) ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٠٩)

(٣)منهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٤٤٥)

وَغَيره كَمَا أَن تَعْذِيب الله لمن عذبه بِالرِّيحِ الشّدِيدَة كَانَ فِي الوقت الْمُنَاسب وَهُوَ آخر الشتَاء[1].

١٥. لولا أن الكسوف والخسوف قد يكونان سببًا تلفٍ وعذابٍ لم يصح التخويف بهما[2].

١٦. لمّا كسفت الشّمْس على عهد النبي ﷺ قَامَ فَزعًا مسرعا يجز رِدَاءَهُ ونادى فِي النّاس الصّلَاة جَامِعَة وخطبهم بِتِلْكَ الْخطْبَة البليغة وَأخْبر أَنه لم يرَ كيومه ذَلِك فِي الْخَيْر وَالشّر وَأمرهم عِنْد حُصُول مثل تِلْكَ الْحَالة بالعتاقة والصدقة وَالصّلَاة وَالتّوْبَة، فصلوات الله وَسَلَامه على أعلم

---

(١)مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (ص: ١٥٢)

(٢)المسائل والأجوبة لابن تيمية (ص: ٢٠٥)

الْخلق بِاللّه وبأمره وشأنه وتعريفه أُمُور مخلوقاته وتدبيره وأنصحهم للْأمة وَمن دعاهم إِلَى مَا فِيهِ سعادتهم فِي معاشهم ومعادهم ونهاهم عَمَّا فِيهِ هلاكهم فِي معاشهم ومعادهم[1].

١٧. هَهُنَا مسلك بعيد المأخذ لطيف المنزع وَهُوَ أَن كسوف الشّمْس وَالْقَمَر وَجب لَهما من الْخُشُوع والخضوع بانمحاء نورهما وانقطاعه عَن هَذَا الْعَالم مَا يكون فِيهِ سلطانهما وبهاؤهما وَذَلِكَ يُوجب لَا محَالة لَهما من الْخُشُوع والخضوع لرب الْعَالمين وعظمته وجلاله[2].

---

(١)مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٠٩)

(٢)مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٧٧) ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢١٤)

التفقهات:

١. فَرّقَ الْفُقَهَاءُ بَيْنَ صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَصَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، بِأَنّ هَذِهِ صَلَاةُ رَهْبَةٍ، وَهَذِهِ صَلَاةُ رَغْبَةٍ، فَصَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ جَاءَتْ سُنّتُهُ وَشَرِيعَتُهُ بِأَكْمَلَ مَا جَاءَتْ بِهِ شَرَائِعُ الرّسُلِ وَسُنَنُهُمْ[١].

٢. لم يُصَلِّ ﷺ قط صلاة في جماعة أطول من صلاة الكسوف[٢].

٣. أصح القولين: أن ركوع صلاة الكسوف وسجودها يكون قريبًا من قيامه بقدر أكثر من النصف[٣].

٤. الصواب أنه ﷺ لم يصل إلا بركوعين،

---

(١)إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٩٦)

(٢)المسائل والأجوبة لابن تيمية (ص: ٢٠٦)

(٣)اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٣١٢)

وهو قول الشافعي وأحمد والبخاري[١].

٥. النّبِيّ ﷺ إِنّمَا صَلّى الْكُسُوفَ مَرّةً وَاحِدَةً[٢].

٦. تُسمّى صلاة الكسوف صلاة الآيات[٣].

٧. بَكَى ﷺ لَمّا كَسَفَتِ الشّمْسُ، وَصَلّى صَلَاةَ الْكُسُوفِ، وَجَعَلَ يَبْكِي فِي صَلَاتِه[٤].

٨. كَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللّه ﷺ أَنّهُ إِذَا أَطَالَ الْقِيَامَ أَطَالَ الرّكُوعَ وَالسّجُودَ، كَمَا فَعَلَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ[٥].

٩. كَانَ هَدْيُهُ ﷺ فِي سَائِرِ صَلَاتِهِ؛ إِطَالَةُ أَوّلِهَا عَلَى آخِرِهَا[٦].

---

(١)قاعدة جليلة لابن تيمية (١/ ١٨٦)

(٢)الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٤٤٧)

(٣)النبوات لابن تيمية (٢/ ٧٣٥)

(٤)زاد المعاد لابن القيم (١/ ١٧٦)

(٥)السابق (١/ ٢٣٠)

(٦)السابق (١/ ٢٤٤)

١٠. الشمس لو كسفت ثم غابت كاسفة لم يصل للكسوف بعد غيبتها[١].

١١. قيل: دفن رَسُول الله ﷺ ابْنه إِبْرَاهِيم وَلم يصل عَلَيْهِ؛ لأنّه اشْتغل عَنه بِأَمْر الْكُسُوف وَصلَاته[٢].

١٢. السجود حال إظهار الشدة [كالكسوف] أولى من السجود في حال إظهار النعمة[٣].

اللّهُمّ نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

راشد بن عبد الرحمن البداح

١٤٤٤

هـ

---

(١)بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١١٦)

(٢)تحفة المودود لابن القيم (ص: ١٠٧)زاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٩٥)

(٣)بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ١٠١)